تفسير جزء تبارك

(سورة الحاقة)

من كتاب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

لِلْشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن نَاصِر بِن عَبْدُ اللّهِ بِن سِعْدِيٍّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (٩)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فأُرحِّب بالجميع في هٰذَا المجلس في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والجلوس في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطلب العلم عبادةٌ عظيمة، فيها أجور كريمة، فيؤوب الجالس مجلسًا من مجالس العلم في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن أخلص لله عَزَّ وَجَلَّ بالأجور الَّتِي ذُكرت لطلب العلم، وبأجر الحاج الَّذِي تم حجه، وبأجر المجاهد في سبيل الله، وقد ذَكَرَ سلفنا وعلماؤنا أن الحسنة في رمضان يعظم شأنها ويعظم أجرها أكثر منها في غير رمضان، ودرسنا كما تعلمون في التفسير، وقبل أن نشرع في درسنا نذكر فائدةً رمضانيةً مختصرة.

معاشر الفضلاء: إن شهر رمضان شهرٌ يعظم فيه الرجاء بمغفرة الله عَزَّ وَجَلَّ لعبده، فتكثر أسباب المغفرة فيه، فرمضان إِلَىٰ رمضان كفارةٌ لما بينهما إذا اُجتنبت الكبائر، «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، ولله عتقاء من النَّار، وذلك في كل ليلةٍ من ليالي رمضان، ويعظم عتق الله عَزَّ وَجَلَّ في ليالي رمضان عند الفطر، عند إفطار الصائمين.

ولمَّا كان ذلك كذلك، كان الَّذِي يدخل عليه شهر رمضان ولا يُغفر له بعيدًا جدًا، وقد دعا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بدعوةٍ عظيمة، فقَالَ: بَعُد من دخل عليه شهر رمضان فلم يُغفر له، وأمر النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يؤمِّن، وأمَّن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاءٌ من سيد الملائكة، وتأمينٌ من سيد الأنبياء عليهم جميعًا السلام، فيا له من أمر عظيم يجعل الواحد منا حذرًا جدًا من أن يدخل عليه شهر رمضان

ولا يُغفر له، وذلك بأن يكون حريصًا عَلَىٰ فعل الأسباب الَّتِي يُغفر له في رمضان بها بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

وجميلٌ معاشر الصائمين أن يُعلن كل واحد منا توبةً صادقة من ذنبه، ليبدأ حياةً جديدة، نظيفة، طاهرة، فيحصل له بذلك أن يُغفر ذنبه، وأن تطيب حياته، وأعظم من ذلك وأكمل وأتم أن يرضى عنه ربه، وأن يفرح به ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعيننا جميعًا عَلَىٰ الصيام إيمانًا واحتسابًا، وعَلَىٰ القيام إيمانًا واحتسابًا، وأن يتقبل منا ذلك، وأن يغفر لنا ذنوبنا أَجْمَعِيْنَ.

❑ **معاشر الفضلاء:** درسنا في التفسير، وقد شرعنا أمس في تفسير سورة الحاقة، وقد علمنا أن موضوع سورة الحاقة يوم القيامة، **وأنَّا نستطيع أن نقسم السورة إلَى ثلاثة أقسام:**

القسم اَلْأَوَّلُ: في قَصَص بعض الأمم الَّتِي كفرت بيوم القيامة، وأنكرت الحاقة، وتعذيب الله عَزَّ وَجَلَّ لها، والمراد من ذكرها: أن نعتبر بها، وأن يكون لنا في هٰذِه القصص عبرة.

والقسم الْثَّانِي: ذِكر بعض ما يكون في يوم القيامة، ولا سيما ما يتعلق بجزاء العباد، وانقسامهم إِلَىٰ فريقين: شقيٍّ، وسعيد.

والقسم الْثَّالِث: في بيان صدق رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادقٌ بلا شك في كل حرف بلغنا إياه، وهو الَّذِي تَلَى علينا القرآن الَّذِي فيه أخبار يوم القيامة، وأخبرنا بسنته وهي كالقرآن، أتاه الله إياها عن بعض ما يكون في يوم القيامة، فعلمنا عاقبة المكذبين بيوم القيامة، وعلمنا بعض ما يقع في يوم القيامة، وعلمنا يقينًا صدق من بلغنا بإخبار يوم القيامة، هٰذَا مجمل ما في هٰذِه السورة.

وقد قرأنا الآيات الأُوَل من هٰذِه السورة وفسرناها، ونقرأ اليوم الآيات التالية للآيات الأُوَل، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يتلوا علينا هٰذِه الآيات.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣-١٨].

في هٰذِه الآيات العظيمة الكريمة يخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أن الحاقة، أي: يوم القيامة، تكون إذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في الصور بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ نفخةً واحدة، لا تُثنى ولا تُكرر، فهي كافية، لعِظَمها، ورُفعت الأرض والجبال من أماكنها، فضُربت ببعضها ضربةً واحدة، فتفتت الجبال، واختلطت بالأرض، فكان الجميع قاعا صفصفًا، لا ترى فيها عِوجًا ولا أمتا، وبُدلت الأرض غير الأرض، ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾، وعند ذاك، قامت القيامة، ووقعت الواقعة، واضطربت السماء، وتغير لونها، وانشقت، وتخرقت، وتمزقت لهول ذلك اليوم المزعج، فهي في ذلك اليوم ضعيفةٌ متراخيةٌ، لا تماسك فيها، ولا صلابة لها بعد أن كانت قويةً متماسكةً لا ترى فيها فتورًا، ولا ترى فيها عوجًا.

والملائكة إذ ذاك تقف عَلَىٰ أطراف السماء وحوافها خاضعين لربهم، مستكينين لربهم لهول ذلك اليوم، يصفُّون صفًا صفًا، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، ويحمل عرش ربنا فوق الملائكة وغيرهم في ذلك اليوم ثمانية ملائكة، شِدادٌ في غاية القوة، إذا أتى ربنا للفصل بين العباد يَوْمِئِذٍ، أيها الناس، مؤمنكم وكافركم، تُعرضون عَلَىٰ ربكم.

﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، لا في ذواتكم، ولا في صفاتكم، ولا في أعمالكم، فلا يخفى منكم أحد، ولا يخفى من عملكم شيء، فسرائركم وعلانيتكم عند الله عَزَّ وَجَلَّ علانية، وكل شيء من أعمالكم، صغيرًا كان أو كبيرًا، مُحضر في ذلك اليوم، وتجدونه حاضرًا، لا تفقدون من أعمالكم شيئًا، لا يُزاد عليكم فتظلمون، ولا يُنقص من أعمالكم شيئًا، ثُمَّ إذا عُرضتم، عرف كلٌّ حاله، هٰذَا المعنى الموضوعي الإيماني الإجمالي لهذه الآيات، ونقرأ ما سطَّره الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في تفسير هٰذِه الآيات، ونعلق عليه.

(المتن)

قَالَ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وغفر له، ولشيخنا والسامعين: لما ذكر ما فعله تعالىٰ بالمكذبين لرسله وكيف جازاهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا وأن الله نجىٰ الرسل وأتباعهم كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي وتوفية الأعمال كاملة يوم القيامة.

(الشرح)

كما ذكرنا بالأمس، تعذيب الله عَزَّ وَجَلَّ لأولئك القوم الَّذِين كذبوا الرسل، وأنكروا البعث، ولم يؤمنوا بيوم القيامة، مع قوتهم، وشدة بأسهم، تعذيب الله عَزَّ وَجَلَّ لهم بأمور هي يسيرة في ذاتها، إِنَّمَا

هو الصوت، والهواء، والماء، أهلكهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالصوت، وأهلكهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالريح، وأهلكهم بالماء، هٰذَا يدلل للعبد مع غيره من الأدلة عَلَىٰ قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ عباده، وأنه سُبْحَانَهُ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والله الَّذِي عذب الكافرين المكذبين للرسل بهٰذَا العذاب في الدنيا، قادر بلا شك عَلَىٰ إنفاذ وعيده وتعذيب الكفار يوم القيامة، فلما ذَكَرَ الله هٰذَا، وذكر أَيْضًا إنجاءه للمؤمنين، فإن في هٰذَا دلالة عَلَىٰ أن الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة يُسعد المؤمنين، وينجي المؤمنين من أهوال يوم القيامة، ومن عذاب الآخرة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة وأن أول ذلك أنه ينفخ إسرافيل ﴿فِي الصُّورِ﴾.

(الشرح)

مفتاح الأحداث الَّتِي تكون يوم القيامة في مقدماتها وفي وقوعها، هو نفخ إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصور، والصور قرنٌ عظيم ينفخ فيه إسرافيل، وقد بيَّن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، فقد جاء أعرابي إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: ما الصور؟ فسأل النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصور، فقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»، رواه الترمذي وصححه الألباني، وروى تفسير الصور بالقرن الَّذِي يُنفخ فيه أَيْضًا، أحمد وأبو داوود رحم الله الجميع.

فإسرافيل ينفخ في الصور، عند الجمهور: ينفخ نفختين، وعند بعض أهل العلم: ينفخ ثلاث نفخات، وهٰذِه مقدمة أحداث يوم القيامة، وهٰذِه النفخة المذكورة هنا هي النفخة الَّتِي يكون عندها البعث، ولذلك قَالَ الشيخ:

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إذا تكاملت الأجساد نابتة. ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

(الشرح)

يعني: أن الأجساد تتكامل في القبور بعد أن تكون قد هرمت، يُنبتها الله عَزَّ وَجَلَّ مرةً أخرى، وتتكامل في القبور تهيئةً للبعث، فينفخ إسرافيل في الصور نفخةً واحدة، أي: لا تثنى ولا تكرر، فشأنها أعظم من أن تحتاج إِلَىٰ تثنية أو تكرار، بل المرة الواحدة كافية.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فتخرج الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فإذا الناس قيام لرب العالمين.

(الشرح)

فهٰذِه النفخة هي نفخة القيام من القبور، هٰذَا الَّذِي عليه الأكثر وهو الأقوى، وقال بعض المفسرين وبعض السلف: إن هٰذِه النفخة هي النفخة الأولى الَّتِي يحصل بها الصعق، لكن الَّذِي ذكره الشيخ هو الأقرب، أنها نفخة القيام من القبور؛ لأن ما بعدها إِنَّمَا يكون بعد نفخة القيام من القبور لرب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: فتتت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت علىٰ الأرض فكان الجميع قاعا صفصفا لا ترىٰ فيها عوجا ولا أمتا. هذا ما يصنع بالأرض وما عليها.

(الشرح)

فعَلَىٰ هٰذَا معنى، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [الحاقة: ١٤]، أنها مُدَّت مدًّا، كمد الأديم، فمعنى حُملت: مدت، كمد الأديم الَّذِي لا يكون عليه شيء ولا تعرج، وقال بعض المفسرين: معنى حملت: رفعت، وقلعت من مكانها، فتقلع الجبال من مكانها، وتقلع الأرض من مكانها، ثُمَّ يُضرب بعضها ببعض مرة واحدة، فتتفتت الجبال وتختلط بالأرض، فتصبح قاعًا صفصفًا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وأما ما يصنع بالسماء، فإنها تضطرب وتمور وتتشقق ويتغير لونها، وتهي بعد تلك الصلابة والقوة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها، وكرب جسيم هائل أوهاها وأضعفها.

(الشرح)

فصارت واهيةً، ضعيفةً، متخرقه، بعد أن كانت قويةً متماسكة، بعد أن كانت مهما أمعنت النظر فيها لا ترى فيها فطورًا لهول يوم القيامة، هٰذِه السماء القوية الصلبة، تصبح ضعيفة، متخرقه، واهية، لهول ذلك اليوم.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة الكرام.

(الشرح)

أي أنه اسم جنس، الملك بمعنى: الملائكة، فهذَا اسم جنس.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أي: علىٰ جوانب السماء وأركانها.

(الشرح)

أي عَلَىٰ الجوانب والأركان الَّتِي لم تتشقق ولم تتخرق، فالملائكة قائمةٌ عَلَىٰ هٰذِه الجوانب.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: خاضعين لربهم، مستكينين لعظمته.

(الشرح)

وقال بعض المفسرين: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: ١٧]؛ أي: عَلَىٰ أرجاء الأرض يحرسونها، ويدفعون الناس إِلَىٰ أرض المحشر، يدفعون الناس ويسوقون الناس إِلَىٰ أرض المحشر، والكل حاصل، ففي السماء عَلَىٰ أطرافها ملائكة قائمون ينتظرون أمر الله، ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، وفي الأرض ملائكة يسوقون الناس إِلَىٰ أرض المحشر.

(المتن)

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ أملاك في غاية القوة إذا أتىٰ للفصل بين العباد والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله.

(الشرح)

في ذلك اليوم العظيم يحمل عرش ربنا ثمانية، بعد أن كان يحمله أربعة من الملائكة، وثمانية، قَالَ أكثر العلماء: ثمانيةٌ من الملائكة، فهم ثمانية أملاك في غاية القوة والشدة، إذا أتى ربنا للفصل بين العباد، يحملون عرش ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقال بعض المفسرين: ثمانية، أي: ثمانية صفوف من الملائكة، فهم ليسوا ثمانية أملاك، وإِنَّمَا أعدادهم كثيرة، وهم ثمانية صفوف، لكن الأظهر والمتبادر من اللَّفْظ: اَلْأَوَّلُ، أنهم ثمانية أملاك، يحملون عرش ربنا فوق رؤوس الملائكة والناس في ذلك اليوم، وينبغي يا إخوة ونحن نسمع هٰذَا، أن يقرع ذلك قلوبنا، وأن يحرك قلوبنا، وأن نستحضر هٰذَا المقام العظيم، حيث

تبدل الأرض غير الأرض، والسماوات تتمزق وتتشقق، والملائكة تقف صفوفًا، وربنا يأتي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحمل عرشه ثمانيةً من الملائكة فوق رؤوس الملائكة والناس، ليفصل بين الناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ولهذا قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله ﴿لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ لا من أجسامكم وأجسادكم، ولا من أعمالكم وصفاتكم، فإن الله تعالىٰ عالم الغيب والشهادة.

(الشرح)

اقرأ الآيات:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة: ١٩-٣٧].

في الحاقة، في يوم القيامة، تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه، وينقسم الناس إِلَىٰ فريقين: سعداء، وأشقياء، حين تتطاير الصحف الَّتِي كتبت فيها الملائكة عَلَيْهِم السَّلَامُ أعمال بني آدم، وأقوال بني آدم من خير أو شر، صغيرها وكبيرها، فأما المؤمن، فإن ربنا الكريم الرحيم، اللطيف البر المحسن، يدنيه منه، حَتَّىٰ يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: نعم، ربي أعرف، فيقول سُبْحَانَهُ: قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفة حسناته، كما ثبت في الصحيحين، فيُعطى كتاب بيمينه إكرامًا له، وإظهارًا لشرفه، ويُقال له: اقرأ كتابك، فيقرأه، فلا يرى فيه إِلَّا الحسنات، فيفرح فرحًا شديدًا عظيمًا، ويسر سرورًا كبيرًا، فيقول لأهله وللناس الَّذِين يلقاهم: تعالوا خذوا كتابي فاقرؤوه، فإن الَّذِي فيه شرفٌ لي، وخير لي، وسبب ذلك بفضل الله ، أني في الدنيا أيقنت أني سألاقي حسابية بعد الموت وبعد البعث، فأحسنت الاستعداد لذلك، فكنت من الأكياس

الَّذِين يُكثرون ذِكر الموت، ويحسنون الاستعداد لما بعده، بتقوى الله، والحرص عَلَىٰ طاعة الله سُبْحَانَهُ، والبعد عن معاصيه، والمسارعة للتوبة والاستغفار إذا زلَّت القدم.

فهو عند ذلك في عيشةٍ مرضية، ترضي صاحبها، لا مُنغِّص فيها، بل هي نعيم خالص، لا يكدِّرها شيء، ولا ينغصها شيء، في جنةٍ عالية في منزلتها، وفي درجاتها، وفي نعيمها، وفي مكانة أهلها، فكل ما يُشتهى فيها، وكل قطوفها الَّتِي تُقطف من الثمار والفواكه قريبة المتناول لصاحبها، تصل إليه إذا اشتهاها، لا يحول بينه وبينها بُعدٌ، ولا عدمٌ، ولا شوكٌ، ولا يحتاج في تحصيلها إِلَىٰ تعب، يشتهيها فتصل إليه هانئةً خالصةً من كل كدر، تصل إليه قائمًا، أو قاعدًا، أو متكئًا أو مضطجعًا، لا يحول بينه وبينها شيء، ويقال له ولمن معه في الجَنَّة: كلوا واشربوا متمتعين متاعًا كاملًا، لا يكون فيه كدر، ولا يُنغِّصه مُنغِّص، فلا تخافون انقطاعه، ولا تخشون امتناعه، ولا تتعبون في تحصيله.

فكل ما اشتهيتموه حصلتموه، وإذا تناولتموه كان سائغًا طيبًا، لا تتعبون في تناوله، ولا تتعبون في إخراجه، بل هو هنيءٌ كامل الهناء، بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا، فطاب عملكم في الدنيا، فطابت عاقبتكم وجزاؤكم في الآخرة بفضل الله ورحمته.

وَأَمَّا الشقي الَّذِي يُعطى كتابه بشماله، وتُنزع شماله حَتَّىٰ تصير وراء ظهره، فيُعطى بشماله من وراء ظهره، إهانةً له، وإذلالا له، يُقال له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: ١٤]، فإنه إذا نظر فيه، ونظر ما فيه من سوء، يقول لسوء ما فيه: يا ليتني لم أعطى كتابي، فأعماله الَّتِي كانت تفرحه في الدنيا ويتلذذ بها في الدنيا، صارت وبالًا عليه يوم القيامة، فيقول: يا ليتني ما رأيتها، يا ليتني ما عملتها، يندم ويتحسر، - اللَّهُ أَكْبَرُ-، يعصي في الدنيا، يظن أن في هذِه المعصية لذة، فإذا رأى هذِه الأعمال في كتابه يوم القيامة، ندم ندمًا شديدًا، وتحسَّر تحسُّرًا شديدًا، ويقول: يا ليتني لم أُبعث ولم أعلم ما جزائي، ويا ليت ميتتي الَّتِي كانت في الدنيا كانت الثابتة الَّتِي لا حياة بعدها، ويا ليتني إذ بُعثت أن أموت وأصير ترابًا كالبهائم والأنعام، غاية ما يتمناه إذ ذاك أن يموت، ليصير ترابًا كالبهائم والأنعام.

فقد أغفلني مالي في جمعه، وأطغاني بكثرته، وبخلت به، فلم أُخرج منه لله شيئًا، فلم ينفعني، لا في دنياي، فما هو إِلَّا شيءٌ قد فني وذهب، ولم ينفعني في آخرتي، بل كان وبالًا عليّ، وذهبت مكانتي عند الناس الَّذِين كانوا يتقربون مني لأموالي وما عندي من الدنيا، وذهب سلطاني عَلَىٰ نفسي، حيث

كنت آمرها وأنهاها، فآمرها بترك ما أوجب الله، وأنهاها عن ترك ما حرم الله، فتطيعني؛ لأن لي سلطانًا عليها، فذهبت قوتي، وذهبت مكانتي، وذهبت سطوتي، وانقطعت حُجتي، فلا حجة عندي أدفع بها عذاب الله عني، فلا عذر لي عند ربي.

فسيكون مآله: أن يأمر الله عَزَّ وَجَلَّ الزبانية، ملائكة العذاب، بأخذه بإذلال وإهانة، وذلك بغَلّ يديه في عنقه بسلسلةٍ عظيمة، ورد رجليه إِلَىٰ رقبته، وغل كل ذلك بسلسلةٍ عظيمة، وسحبه بعنف عَلَىٰ وجهه، حَتَّىٰ يُلقى في النَّار، ثُمَّ يُلقى في نارٍ بعيدة القعر وهي جهنم، شديدة العذاب، ثُمَّ يُعذَّب بعذاب شديد، ومنه: أن تُدخل سلسلةٌ ذرعها سبعون ذراعًا، واللهُ أَعْلَمُ بهذَا الذراع، تُدخل وهي حامية من دُبُره، حَتَّىٰ تخرج من فمه وأنفه، ويُعلَّق بها، ويُعذب بها.

وذلك أن ذاك البعيد لم يكن يؤمن بالله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يعمل الأعمال الصالحة عن إيمان، وهي من الإيمان، ولا يحسن إِلَىٰ خلق الله عن إيمان، فكان جزاؤه أنه ليس له صديقٌ ولا قريبٌ يوم القيامة يشفع له، أو يدفع عنه، أو يعطيه من حسناته لينقذه من النَّار، وليس له في النَّار قريبٌ وصديق يسليه عن عذابه، فلا تخفيف في العذاب، ولا تسلية عنه، وليس له مع شدة عذابه طعام يتقوى به، فليس له طعام يقويه، ولا يسمنه، ولا يغني عنه من جوع، بل يزيده عذابًا، فطعامه من غسلين، من صديد وقيح أهل النَّار، ومن دم أهل النَّار، وعرق أهل النَّار، يكون غليظًا، فيتلقمه ويأكله، مع كونه منتنًا نتنًا شديدًا، وحارًا حرًا شديدًا، فلا يقويه ولا يدفع عنه الجوع، بل يحرق جوفه إحراقًا، ذاك الطعام الخبيث لا يأكله إِلَّا الخاطئون الَّذِين كفروا بالله عَزَّ وَجَلَّ، وفعلوا المعاصي العِظام، قاصدين عالمين متعمدين.

فمن أراد السلامة من ذاك الطعام، ومن ذاك العذاب، فعليه أن يجتنب هذِه الحال، إياه أن يكون من الخاطئين، بل يحرص عَلَىٰ أن يكون من المؤمنين الَّذِين يتقون الله حيثما كانوا، الخير رجاء ثواب الله، ويتركون الحرام خوفًا من عذاب الله، وإذا زلَّت القدم، تتبع السيئة الحسنة بما يمحوها، وتابوا إِلَىٰ ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأحسنوا إِلَىٰ الناس، وأعظم الإحسان المعاملة بحسن الخُلُق، هذَا طريق النجاة من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

طريق النجاة من حال أولئك الخاطئين يوم القيامة، أن توحد الله، وتعمل بطاعة الله عَلَىٰ نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله عَلَىٰ نور من الله، تخاف عذاب الله، وأن تسارع إذا زلَّت

القدم بالأوبة والتوبة والرجوع إِلَىٰ الله، وأن تحرص عَلَىٰ الإحسان إِلَىٰ خلق الله، وَالَّذِي يدعوك إِلَىٰ ذلك إيمانك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإخلاصك لله عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ نقرأ ما سطره الإمام السعدي في تفسير هٰذِه الآيات.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فإن الله تعالىٰ عالم الغيب والشهادة، ويحشر العباد حفاة عراة غرلا في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء، فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤]، وهؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزا لهم وتنويها بشأنهم ورفعا لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق علىٰ ما من الله عليه به من الكرامة: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ أي: دونكم كتابي فاقرأوه.

(الشرح)

﴿هَاؤُمُ﴾؛ قيل معناها: تعالوا، هلموا، وقيل معناها: خذوا، وكلا المعنيين يقع، فينادي الناس ويقول: تعالوا، هلموا، خذوا كتابي، ﴿كِتَابِيَهْ﴾؛ يعني: كتابي، والهاء للسكت، لكن أكثر أهل العلم قالوا: إنها تُقرأ وقفًا ووصلًا، مع أن الأصل أنها للسكت؛ لأنها هكذا كُتبت في المصحف، فتُقرأ وقفًا، وهٰذَا ظاهر للسكت، وتُقرأ وصلًا بنية السكت، فلا تُحذف الهاء هنا عند الوصل؛ لأن الصحابة هكذا كتبوها في المصحف.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب، والذي أوصلني إلىٰ هذه الحال، ما من الله به علي من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: أيقنت فالظن -هنا-(بمعنىٰ) اليقين.

(الشرح)

أي: أيقنت أني ملاقٍ جزائي، أي أنه كان موقنًا، مؤمنًا بالحاقة، وما يكون فيها، وأنه سيلاقي جزاءه في ذلك اليوم، وقال بعض المفسرين: الظن هنا عَلَىٰ بابه، والمعنى: إني ظننت أني سأجازى بسيئاتي

وذنوبي، فاجتنبتها؛ يعني: في الدنيا ظننت أن الله سيجازيني بذنوبي وإن كنت موحدًا، وإن كان الله قد يعفو، لكني ظننت أن الله سيجازيني بذنوبي فاجتنبتها، وقال بعض المفسرين: المعنى: أني عند البعث ظننت أني سألاقي جزائي عَلَىٰ السيئات الَّتِي عملتها، وأعلم أني عملتها، لكن ربي عاملني بلطفه، فعفا عني وغفر لي، فسترني في الدنيا، وغفر لي في الآخرة.

ونقول في ﴿حِسَابِيَهْ﴾، كما قلنا في ﴿كِتَابِيَهْ﴾، الهاء للسكت، وتُقرأ وقفًا ووصلًا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي: جامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها.

(الشرح)

فمعنى: ﴿رَاضِيَةٍ﴾، مرضية، لكونها جامعة للنعيم، وترون أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، كأن العيشة هي الَّتِي ترضى، قَالَ العلماء: هي راضيةٌ مرضية، ووصفها الله بكونها راضية، مدحًا لها، فهٰذَا الوصف من باب المدح لتلك المعيشة، فهي راضيةٌ، ويرجع ذلك إِلَىٰ صاحبها بالرضا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ المنازل والقصور عالية المحل.

(الشرح)

أي: أنها مرتفعة المنازل، مرتفعة القصور، مرتفعة المحل، كما قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "**رفيعةٌ قصورها، حسانٌ حورها، نعيمةٌ دورها، دائمٌ حبورها**"، وقَالَ بعض المفسرين: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢]، أي: في جنةٍ عظيمة في نفوس أهلها، فلا يرون أحدًا أنعم منهم، فهي عظيمة في نفوس أهلها، مع أن أهل الجَنَّة يتفاوت نعيمهم، لكن هٰذَا النعيم تفاوتٌ في الكمال، فمن قل نعيمه بالنسبة لمن هو أعلى منه لا يتكدر لهٰذَا، ولا يُنغَّص عليه هٰذَا نعيمه، بل يرى نفسه في أعلى ما يكون، فهٰذِه الجنة عظيمةٌ في نفوس أهلها.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول علىٰ أهلها، ينالها أهلها قياما وقعودا ومتكئين.

(الشرح)

هي دانية قريبة منهم، لا يتعبون في الوصول إليها، ولا يخافون عدمها وانقطاعها، ولا يحول بينهم وبينها حائل، لا من شوك، ولا من بُعد ولا غير ذلك.

(المتن)

ويقال لهم إكراما: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: من كل طعام لذيذ، وشراب شهي، ﴿هَنِيئًا﴾ أي: تاما كاملا من غير مكدر ولا منغص.

وذلك الجزاء حصل لكم ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

(الشرح)

﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٤]؛ يعني بما قدمتم، ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾؛ يعني في الأيام الخالية، يعني الأيام الماضية في الدنيا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ من الأعمال الصالحة -وترك الأعمال السيئة- من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلىٰ الخلق، وذكر لله وإنابة إليه فالأعمال جعلها الله سببا لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلا لسعادتها.

(الشرح)

لكنها ليست سببًا مستقلًا، فلن يدخل أحدٌ الجَنَّة بعمله، وإِنَّمَا كل من يدخل الجَنَّة، إِنَّمَا يدخل الجَنَّة بفضل الله وبرحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن الأعمال الصالحة سببٌ لنيل فضل الله، وسببٌ لرحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقال مجاهد: الأيام الخالية هي أيام الصيام، حيث كانوا يصومون في الدنيا كحالكم، فيتركون الطعام لله، ويتركون الشراب وهم يحبونه لله، فيكون جزاؤهم زيادة نعيم لهم في الجَنَّة، في الأكل والشرب، فيُنعَّمون بالأكل والشرب.

ولا شك أن الصيام من أعظم الأعمال الصالحة، وقد علمنا أن ربنا أكرم الصائمين بأن خصهم بباب خاص في الجَنَّة، يُقال له: الريان، لا يدخل منه إِلَّا الصائمون، فإذا دخلوه أُغلق، ولا شك أن الجزاء من جنس العمل، فكما أن الصائم منع نفسه في نهار الصيام من الطعام الَّذِي يحب، فإن الله يمتعه في الجَنَّة بالطعام أكثر من غيره، وكما أن الصائم منع نفسه من الشراب الَّذِي يحب في نهار الصيام، فإن الله يمتعه بالشراب في الجَنَّة أكثر من غيره، ولكن هٰذَا ليس حصرًا، أعني في الصيام، بل هٰذَا مثال، وَإِلَّا فكل الأعمال الصالحة تدخل في هٰذِه الآية.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾[الحاقة: ٢٥-٣٤]، **هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزا لهم وخزيا وعارا وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي** ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ **لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية،** ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ **أي: ليتني كنت نسيا منسيا ولم أبعث وأحاسب.**

(الشرح)

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٦]، أي: لم أعلم ما جزائي.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ولهذا قال: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ **أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها.**

(الشرح)

﴿يَالَيْتَهَا﴾ [الحاقة: ٢٧]؛ الضمير هنا عَلَىٰ ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، يرجع إِلَىٰ موتته في الدنيا، ﴿يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧]، فلم أبعث لألقى هٰذَا الجزاء، وقال بعض المفسرين: إن الضمير يرجع إِلَىٰ الحالة الَّتِي هو عليها عندما يرى كتابه، فيقول: يا ليت هٰذِه الحالة عندما نظرت في

الكتاب قضت عليّ، يا ليتني كما يحدث لأهل الدنيا من أصابته مصيبة عظيمة قد تحدث له سكتة ويموت، يا ليتني عندما نزلت بي هٰذِه المصيبة الَّتِي لا أعظم منها، مِتُّ وسقطت ميتًا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ثُمَّ التفت إلىٰ ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته، ولم ينفعه في الافتداء من عذاب الله فيقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئا، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه.

(الشرح)

وهٰذَا باعتبار أن، ﴿مَا﴾ [الحاقة: ٢٨]، هنا نافية، وقال بعض المفسرين: إِنَّ مَا هنا استفهامية، أي أنه يلوم نفسه، فيقول: هٰذَا المال الَّذِي ضيعت الدين من أجله، ماذا أغنى عني، ماذا نفعني؟ لم ينفعني بشيء، فيقول: مبكتًا لنفسه، ما الَّذِي أفادني به هٰذَا المال؟ ما نفعني بشيء، وهو والله كذلك، يقول ابن آدم: مالي مالي، يحرص عليه، وقد يضيع شيئًا من دينه من أجله، وما هي الحقيقة؟ ليس له من ماله، إِلَّا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأبقى، هٰذَا لو كان يتصدق، وما سوى ذلك فذاهبٌ وتاركه للناس، فَالَّذِي يلهيه ماله عن الخير في الدنيا سيندم، ويقول: ما الَّذِي نفعني به هٰذَا المال؟ حيث يرى أن المال يوم القيامة لا ينفع، إِلَّا إذا قدمه الإنسان لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقَالَ بالمال هكذا وهكذا وهكذا وهكذا، فأحسن فيه وتصدق منه.

(المتن)

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي: ذهب واضمحل فلم تنفع الجنود الكثيرة، ولا العدد الخطيرة، ولا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والغموم والأتراح.

(الشرح)

فذهبت مكانتي عند الناس فلم تنفعني بشيء، وقيل: سلطانية؛ أي: عذري، فذهبت حجتي وهلكت وتلفت، فإنه لا عذر لي عند ربي، وقيل: هلك عني سلطاني عَلَىٰ نفسي، حيث كنت آمرها وأنهاها، لعلنا نقف هنا، حَتَّىٰ ما نتأخر عَلَىٰ الإخوة، وما نؤذي أصحاب السفر، ونكمل غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لعلنا نجيب عن شيء من الأسئلة.

(الأسئلة)

السؤال: جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، نفع الله بما سمعنا، يسأل عن الراجح في مسألة الحامل والمرضع إذا أفطرتا، ماذا عليهما؟

الجواب: الحامل إذا أفطرت فلهما حالان:

الحالة الأولى: أن يكون سبب فطرهما الخوف عَلَىٰ أنفسهما أو عَلَىٰ نفسيهما، سواء خافتا مع ذلك عَلَىٰ الولد والجنين، أو لم تخافا، المهم أن الخوف عَلَىٰ النفس موجود، وهٰذِه إِنَّمَا عليها القضاء وليس عليها إطعام، وقد حكى جماعة من الفقهاء الَّذِين لهم خبرة كبيرة بخلاف الفقهاء، الاتفاق عَلَىٰ هٰذَا، ومنهم ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فهٰذِه المرأة الحامل والمرضع في هٰذِه الحال لا تعدوا أن تكون مريضة، وقد استقرأنا الشريعة فوجدنا أن من يفطر لسبب يعود إليه لمشقة تلحقه لا يجب عليه إِلَّا القضاء، ولم نجد قط في الشريعة أن مسلمًا يفطر في نهار رمضان لعذر يرجع إليه ولا يقضي، لا يوجد هٰذَا في أصول الشريعة أبدًا، بل الشريعة مطردة عَلَىٰ أن من أفطر لعذر يرجع إليه يجب عليه أن يقضي.

طيب، إذا كان ذلك كذلك، إذا وجدنا أن الصحابة قد اختلفوا عَلَىٰ قولين، فمنهم من قَالَ: عليها الإطعام، ومنهم من قَالَ: عليها القضاء، فإن أقوال الصحابة تتساقط، ونرجع إِلَىٰ الأصل، أو نأخذ بالقول الَّذِي يؤيده الأصل.

والحالة الثانية: أن تخاف المرضع أو الحامل عَلَىٰ الجنين أو الولد، من غير خوف عَلَىٰ نفسيهما، تخاف عَلَىٰ الولد أن ينقطع الحليب فلا يكفيه، والولد لا يرضع من مصدر آخر، أو تخاف الحامل عَلَىٰ جنينها أن يتأذى، فهنا تفطر وتقضي، وتطعم عن كل يوم مسكينًا، أما القضاء؛ فلأنه الأصل، والأصل أن من يفطر يقضي، ولا نعرف في الشرع أن من يفطر وهو قادر عَلَىٰ الصوم لا يقضي، وَإِنَّمَا الَّذِي يطعم هو الَّذِي يفطر وهو غير قادر عَلَىٰ الصوم، كالكبير، والمريض مرضًا لا يُرجى برؤه.

وَأَمَّا الإطعام فلثبوت ذلك عن بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ ولأن فطرهما لم يكن لعذرٍ يتعلق بهما، وإِنَّمَا لعذرٍ يتعلق بغيرهما، فكان عليهما القضاء والإطعام، هٰذَا التحقيق في المسألة، والذي ينبغي أن يُعمل به.

السؤال: أحسن الله إليكم، هٰذَا يقول: إذا اتسخ لباس الإحرام هل يجوز لي أن أغسله بمسحوق فيه طِيب؟

الجواب: أولًا يا إخوة: يجوز أن تتخذ لباسين أو ثلاثة للإحرام، تلبس واحدًا وتأخذ معك في الحقيبة آخر، ما في إشكال، اتسخ واحد تلبس الْثَّانِي الَّذِي في الحقيبة ليس هناك إشكال، إذا اتسخ الإحرام يجوز أن تغسله وتلبسه، لكن لا يجوز أن تغسله بشيء فيه طيب، وإِنَّمَا تغسله بالماء وبالمنظفات الَّتِي رائحتها طبيعية، الَّتِي تسمى رائحة الصابون نفسه، ليس فيها عود مضاف، ليس فيها مسك مضاف؛ لأن يا إخوة المساحيق الَّتِي يُضاف إليها الطيب يُقصد بها أمران: التنظيف، والتطييب، والمحرم ممنوع من التطييب، فإذا كانت هٰذِه المساحيق تُنظِّف وتُطيِّب، فلا يجوز له أن يستعملها، ولكن يستعمل الماء والمساحيق المنظفة فَقَطْ، الَّتِي لا يُقصد منها التطييب.

لعلنا نقتصر عَلَىٰ هٰذَا، ويا إخوة أنا أعتذر من الإخوة بعد الدرس، لا أستطيع أن أجيب عَلَىٰ الإخوة وأنا أسير، والله إني أستحي أن أقول لأحد: لا، لكن ترون أصحاب السفر والمسجد ممتلئ، فكوننا نخرج سويًا بعد الدرس يؤذي الناس، وأذية الناس ما تجوز، وإذا كان من آذى الناس في طرقهم يستحق اللعنة، فكيف بمن يؤذي الناس في مساجدهم؟ ثم طالب العلم ينبغي أن يحافظ عَلَىٰ سمته، وأن يري الناس خيرًا بما يحببهم في العلم، وأن يجتنب ما قد ينفر الناس من طلاب العلم ومن أهل العلم ومن العلم، ولذلك في رمضان أنا أعتذر للإخوة أني لا أُجيب بعد أن أقوم عن الكرسي.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، أن يجعل هٰذَا المجلس الَّذِي جلسناه في مسجد رسولنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن صيام، أن يجعله مِمَّا يسرنا ويفرحنا عند لقائه.

بارك الله في الجميع، وتقبل الله من الجميع.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ، وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.